قضايا

تستعرض هذه المطالعة في أربعة أجزاء قراءات في حروب السايبر الإسرائيلية؛ استراتيجيتها وعقيدتها وأساليبها الفاشية، مروراً بأبرز الهجمات غير المسبوقة من نوعها، والمنسوبة إلى ذراعها السيبرانية سيئة السمعة الوحدة 8200. هنا الجزء الثالث

قراءات في العقيدة الإسرائيلية وأفعالها

حروب السايبر [3/4]

شهيرة سلوم

نتنياهو يلقي كلمة في المؤتمر الدولي السنوي الرابع للأمن السيبراني في تل ابيب في 14/ 9/ 2014 (فرانسس برس)

تنخرط إسرائيل في هجماتٍ غير مرئية لنا تندرج في إطار حرب السايبر، ولا يختلف سلوكها فيها كثيراً عمّا هو عليه في حروبها المباشرة، لجهة انتهاك حقوق الإنسان وارتكاب جرائم الحرب والاعتداء على سيادة الدول. يتفق الباحثون في هذا المجال على توصيف هذا النوع من الحروب بالنظيفة، لأنّها تجري من دون إراقة الدماء، إلا أن إسرائيل أدمتها عبر استخدام أدواتها للقتل الجماعي المباشر. تستعرض هذه المطالعة في أربعة أجزاء قراءات في حروب السايبر الإسرائيلية؛ استراتيجيتها وعقيدتها وأساليبها الفاشية، مروراً بأبرز الهجمات غير المسبوقة من نوعها، والمنسوبة إلى ذراعها السيبرانية سيئة السمعة الوحدة 8200، وتبسط حيّزاً في العرض لهذه الوحدة، ولمشاريع الذكاء الاصطناعي الواردة في كتاب قائدها يوسي سارئيل، والتي يتبيّن أنها موجودة فعلياً ويجري تنفيذها في حرب غزة ولبنان، لكن بنسخة أكثر إجرامية. هنا الجزء الثالث.

في حوار يدور بين وينستون بطل رواية جورج أورويل (1984)، وسجّانه أوبراين، بعد جولات من التعذيب. يقول الأخير «نحن لا نهتم إلا بالأفكار. إننا لا نكتفي بتدمير أعدائنا؛ إننا نغيرهم». يردد وينستون: «سوف يهزمونكم في النهاية. سوف يرون حقيقتكم عاجلاً أم آجلاً. وسوف يمزقونكم إربًا إربًا».

أوبراين: «مّا هو المبدأ الذي سيهزمنا؟».

وينستون: «لا أدري، روح الإنسان؟».

أوبراين: «وهل تعتبر نفسك إنساناً؟».

وينستون: «نعم».

«إذا كنت إنساناً يا ونستون، فأنت الإنسان الأخير. جنسك منقرض. وإننا الوارثون. هل تفهم أنك وحدك؟ أنت خارج التاريخ. أنت غير موجود». بعد جولات أخرى من التعذيب، يكتب وينستون بحروف خرقاء شعار الأخ الأكبر: «الحرية هي العبودية».

يعود إليه أوبراين قائلاً إن هذا غير كاف فـ«عملية إعادة الاندماج (في الحزب) ثلاث مراحل: التعلّم، الفهم، القبول»، وأنت يا وينستون لم تصل بعد إلى مرحلة القبول.

الوحدة 8200

الوحدة 8200، وبالعبرية تقال Yehida shmone matayim. تتبع شبكة الاستخبارات العسكرية «أمان»، وتعتبر رديفاً لجهاز الاستخبارات الوطنية الأميركية (NSA)؛ وهذه المقارنة تحرص الجهات الإسرائيلية على ذكرها، وتتردد على لسان المسؤولين الإسرائيليين عند كل سؤال يوجّه إليهم عن الوحدة وعملها، لإشباع عقد التفوّق ربما. شغلها الأساسي هو جمع المعلومات الاستخبارية عبر الفضاء السيبراني؛ ما يسمى «signal intelligence SIGINT»، وتفكيك كودات الشيفرات، مع ما يتطلبه هذا العمل من شن هجمات سيبرانية، تتضمن أعمال قرصنة، واختراقاً، وتنصتاً. تمتلك الوحدة أضخم قاعدة تنصت حول العالم (قاعدة أوريم في النقب).

لم تنشأ الوحدة 8200 حديثاً، هي امتداد لعمل وحدة الاستخبارات 515 التي بدأت في خمسينيات القرن الماضي. عادت وغيّرت اسمها إلى فرقة أخرى قبل أن تصير الوحدة 8200. ذاع صيتها بوصفها ذراعاً سيبرانية قويّة، تعتمد أساليب الاستخبارات القديمة في الأنظمة الفاشية، لكن عبر تقنيات حديثة. ربطتها عدة مصادر أجنبية بأبرز الهجمات السيبرانية بالغة التأثير، ومنها هجوم ستاكسنت Stuxnet وفلايم (flame 2012). يبدأ اختيار عناصرها في سن صغيرة (بين 16 و18 عاماً) عبر عمليات وإجراءات خاصة لانتقاء النخبة فيهم. يعاين صحافي في فاينانشال تايمز، عبر تحقيق نشره في (يوليو 2015)، المراحل الأولى من عملية الاختيار، مستعرضاً شهادات حول أساليب عمل الوحدة وثقافتها. ويتساءل بين سطور تحقيقه: «ماذا نقول عن دولة تزجّ ألمع شبابها في وحدة للتجسس؟» فعلاً ماذا يُقال عنها؟

تبدأ عملية تجنيد هؤلاء الفتية، بحسب التحقيق نفسه، عند إنهائهم مرحلة التعليم الثانوي، وتحديداً في حفل تخرّج الطلاب المميّزين، يسمى حفل Magshimim ويستهدف الفئات الأكثر فقراً (هناك برنامج آخر مماثل للفئات الميسورة). يموّل هذا الحفل الحكومة الإسرائيلية ومؤسسة راشي Rashi، وهي هيئة خدمية اجتماعية أنشئت في عام 1984 وتستهدف المواهب الناشئة، ولها شراكات مع الحكومة والقطاع الخاص. يخضع المتقدمون إلى حضور الحفل لشروط صعبة، واختبارات صارمة لمعرفة قدراتهم في مسائل البرمجة واللغات و«التفكير خارج الصندوق»، بحسب ما يردده قادة الوحدة، مع استثناء فلسطينيي الداخل طبعاً.

يتجوّل عناصر الجيش الإسرائيلي في هذا الحفل، باحثين عن المواهب اليافعة. يتحدثون مع الفتية من دون أن يقولوا لهم إنّ للأمر علاقة بالوحدة 8200، لكن يؤكدون لهم أنهم سيتلقون دعوات لإجراء مقابلات في مراكز عسكرية مختلفة تابعة للجيش. حول هدف المقابلات التي يجريها الجيش الإسرائيلي لاختيار ألمع الطلاب، تذكر حلقة حول الوحدة 8200 في البرنامج الصوتي الشهير Darknetdiaries، الذي يتناول قضايا سيبرانية، بأنه أشبه بتمييز الرؤوس الكبيرة rosh gadol وتلك الصغيرة rosh katan. ثم تجنيد الرؤوس الكبيرة في الوحدة؛ فإسرائيل تفضل أولئك الذين يتحدون الوضع القائم ويفكّرون في طرق جديدة لإدارة العمل وحل المشكلات.

في البرنامج نفسه لقاءات مع مجندين حاليين وسابقين في الوحدة، لا يكشفون الكثير عن المراحل الأولى من الانخراط وطبيعة العمل، لكنهم يتحدثون عن تدريبات جسدية ونفسية وعلمية صارمة تمتد ثلاث سنوات، يتقنون خلالها مهارات تقنية عالية، ويتعلمون كيف يحلون المشكلات في وقت قياسي. أحدهم يقول إنه كلف مرّة بمهمة اختراق أجهزة حواسيب دولة معادية، وسرقة بيانات محددة. نجح في الاختراق، لكنه واجه مشكلة التشفير؛ يستطيع فكّ الشيفرة، لكن ذلك سيستغرق معه وقتاً أطول. عندها تذكر أنه خلال مهمة اختراق سابقة لدولة معادية أخرى، عثر على محطة تكسير شيفرات ضخمة، فما كان به إلا أن عاد إلى اختراق تلك المحطة في الدولة ب، وحمل عليها البيانات المشفرة من الدولة أ؛ فكّ التشفير، وعاد بالبيانات المطلوبة إلى رؤسائه، من دون أن يترك أي أثر وراءه. هكذا يتحرّك جنود السايبر الإسرائيليون في الفضاءات السيبرانية للدول، تماماً كما يتحرّك زملاؤهم في المجالات البرّية والجوّية والبحرية.

ثقافة التمرّد، والمغامرة، وعدم الالتزام بالقواعد وانتهاكها، طاغية داخل عمل الوحدة وعناصرها، وتلقى تشجيعاً من المسؤولين. الدافع الأساسي للعاملين هو إنجاز المهمة بغض النظر عن الأساليب المستخدمة. يقول ضابط رفيع سابق عمل في الوحدة وأسس لاحقاً شركته السيبرانية الخاصة Firmitas Cyber Solutions، ويدعى رامي إفراتي: «لا يمكن لك العمل وفقاً للقواعد فقط» (تحقيق فاينانشال تايمز).

> ذاع صيت الوحدة 8200 بوصفها ذراعاً سيبرانية قويّة، تعتمد أساليب الاستخبارات القديمة في الأنظمة الفاشية، لكن عبر تقنيات حديثة
>
> ثقافة التمرّد، والمغامرة، وعدم الالتزام بالقواعد وانتهاكها، طاغية داخل عمل الوحدة وعناصرها، وتلقى تشجيعاً من المسؤولين
>
> يشبّه جنديٌّ في الوحدة أساليب التجسّس فيها، بما كان جارياً داخل جهاز الاستخبارات في ألمانيا النازية ستاسي stasi

يشبّه جندي في الوحدة أساليب التجسّس فيها بما كان جاريًا داخل جهاز الاستخبارات في ألمانيا النازية ستاسي stasi. ويقول إنه فوجئ حين حضر للمرّة الأولى فيلم the lives of others الذي يتحدث عن أساليب عمل ستاسي.

في رسالة تمرّد وُجّهت إلى رئاسة الحكومة والاستخبارات العسكرية مؤرّخة في 11 سبتمبر 2014، يكشف 43 إسرائيليًا خدموا في الوحدة عن أن حيوات الفلسطينيين في الأراضي المحتلة مكشوفة بالكامل لعمليات التجسس والمراقبة من قبل الاستخبارات الإسرائيلية. يتحدثون عن «معضلة أخلاقية داخل الاستخبارات العسكرية، تلحق الأذى بأشخاص أبرياء، وأساليب تجسس لا تميّز بين أولئك الذين يرتكبون أعمال عنف وغيرهم من الفلسطينيين»، مشيرين إلى توجّه لزرع الشقاق داخل المجتمع الفلسطيني، عبر تجنيد عملاء وتقليب الفلسطينيين بعضهم ضد بعض. يكلّف العاملون في الوحدة بجمع معلومات خاصة عن الفلسطينيين بغض النظر عن سجلهم الأمني لدى إسرائيل، ومنها أوضاعهم الصحية والمالية والحياة الخاصة وميولهم الجنسية. وجمع المعلومات يجري عبر عدة أدوات، منها التنصت على المحادثات الهاتفية، ومنها أساليب ابتزاز الفلسطينيين الذين يسعون للحصول على تصاريح عمل أو تنقل، عبر ما يوصف بـ«فخاخ العسل».

أساليب أخرى للابتزاز والتجسس يمكن لنا رصدها من شهادات بعض الجنود الذين وقعوا الرسالة أعلاه. يقول أحدهم إن التجسس لا يتوقف عند الشخص المستهدف (أو المشتبه به)، بل يمتد إلى كل أفراد العائلة؛ الأب، والأمّ، والإخوة، وعلاقاتهم العاطفية، ويدخل في تفاصيل الأمور الشخصية. والهدف هو البحث عن سرّ ما يخفيه أحد أفراد العائلة. وعبر هذا السرّ، تبدأ لعبة الابتزاز للحصول على معلومات.

القوّة البشرية الآلية المتفوّقة كما ينظر لها قائد الوحدة 8200

إضافة إلى النزر اليسير المسرّب عن أساليب عمل وحدة السايبر الإسرائيلية، يأتي علينا قائدها يوسي سارئيل بأفكار ومشاريع لتوظيف الذكاء الاصطناعي في المجالين العسكري والاستخباري؛ لنفاجأ نحن الذين نتابع يوميات حرب الإبادة منذ السابع من أكتوبر، بأبشع تفاصيلها، أن تلك المشاريع ليست بمشاريع على ورق، بل أشغال قائمة وجارية، وغزة ساحة تجاربها الأولى، لكن بأسلوب أكثر إجراماً ينزع عنها أيّ حسّ إنساني محتمل، ليبدو معها الفريق البشري الآلي المطروح في كتاب سارئيل، نسخة طريّة من برنامجي لافندر وغوسبيب.

أثار الكتاب «الفريق البشري-الآلي» The [Human-Machine Team [iv بعض الجدل عند إصداره في 2021؛ فهو لم يوقعه باسمه الكامل، بل بالأحرف الأولى Y.S، معرّفاً نفسه بأنه قائد وحدة في الجيش الإسرائيلي. غير أن صحيفة «ذا غارديان» كشفت هويته لاحقاً في تحقيق، مستندة إلى أثر رقمي في نشر كتابه على موقع «أمازون»، وهو ما عدّ خرقاً أمنيًا للاحتلال. يقدم قائد الوحدة مشروعه The Human-Machine Team على أنه عملية تآزر synergy بين الذكاءين الآلي والبشري لمعالجة كمّ هائل من المعلومات الاستخبارية، وتوظيف كل ذلك في ساحة المعركة.

يقول إن كتابه (استحصل على موافقة الجيش الإسرائيلي لنشره) يأتي في إطار دراسة استغرقت عاماً في جامعة الدفاع القومي الأميركية. يقدمه على أنه دراسة بينية؛ بين النظرية والواقع، والماضي والمستقبل (يستهل كتابه بجملة لأبراهام لينكولن: «إن أفضلَ طريقة لتوقع المستقبل، هي أن تخلقه»؛ غرورٌ لا يُحتمل)، بين الثورة الصناعية الرابعة وتلك المقبلة؛ بين علم التكنولوجيا والقيادة، وبين الذكاء البشري والذكاء الاصطناعي، حيث سيشكل هذا الاجتماع بين الذكاءين ما يصفه بقوّة الإدراك الفائقة super-cognition، القادرة على مواجهة تهديدات الأمن الوطني وتحقيق النصر.

بكثير من الحماسة مع ما يتخللها من تكرار ممل ومحاولة تنظيرية من رجل استخبارات (يحاول أن يروّج لنفسه صاحبَ فكر، بحسب ما نقرأه في أكثر من موقع يتحدث عنه)، يستعرض مراحل تطوّر الذكاء الاصطناعي وإمكانياته الهائلة في جمع البيانات الضخمة، ومعالجتها وتصنيفها، وهو أمرٌ قد يستغرق عشرات آلاف السنين من الذكاء البشري للقيام به، قبل أن يقدم خلاصاته واقتراحاته لتشكيل ذلك البناء الهجين الذي يجمع قوّتي الذكاء الآلي والبشري.

يعرض قائد الوحدة السيبرانية رؤيته للعمل الحربي والاستخباري في الفضاء السيبراني، ويتناول أمثلة لتوظيف التكنولوجيا في الحروب، وما يسكن العقل الإسرائيلي من أفكار حول المواجهات المقبلة، والنظرة للأعداء، وهوية هؤلاء الأعداء، وما يُخطط له من مشاريع لجعل الحروب الإسرائيلية ذكية وانتصاراتها حتمية. يصف العمل داخل «الفريق البشري-الآلي» بـ Havruta، وهي طريقة تفكير يهودية مستوحاة من قصة توراتية بين رجلين (يوحانان رئيس مدرسة يهودية ولاكيش زعيم المافيا)، أحدهما يملك الجمال والثاني القوّة، وقرّرا العمل معاً، للوصول إلى قوّة الإدراك الفائقة super- cognition؛ تلك التي تشغل بال سارئيل طوال عدد صفحات كتابه المئتين.

يقول إن الجيش الإسرائيلي خاض حروبًا في السّنوات العشرين الماضية بشعور وصفه بالهاشماتزا hachmatza ويعني الفرص الضائعة؛ فعقب حرب لبنان عام 2006، ضيّعت القوات الإسرائيلية فرصة هزيمة حزب الله وتحقيق نصر حاسم (مستندًا إلى نتائج تحقيق اللجنة الحكومية)، وبأن كل العمليات العسكرية في غزة خلال 15 عاماً انتهت بلا تحقيق نتائج محددة.

جمع معلومات ثمّ ابتزاز

يكلّف العاملون في الوحدة 2800 بجمع معلومات خاصة عن الفلسطينيين، بغضّ النظر عن سجلّهم الأمني لدى إسرائيل، ومنها أوضاعهم الصحية والمالية والحياة الخاصة وميولهم الجنسية. وجمع المعلومات يجري عبر عدّة أدوات، منها التنصّت على المحادثات الهاتفية، ومنها أساليب ابتزاز الفلسطينيين الذين يسعون إلى الحصول على تصاريح عمل أو تنقّل، عبر ما يوصف بـ«فخاخ العسل». والهدف هو البحث عن سرّ ما يخفيه أحد أفراد العائلة. وعبر هذا السرّ، تبدأ لعبة الابتزاز للحصول على معلومات.